# ألمُسْتَشْرِقونَ وَإشْكالِيَّةُ رَسْمِ المصْحَفِ العُثمانيِّ

حكيم سلمان كريدي السلطاني
كلية الشيخ الطوسي الجامعة
النجف الاشرف–العراق

## فحوى البحث

يعرض البحث إشكالية رسم المصحف العثماني في ضوء الرؤية الاستشراقية فيبدأ بتمهيد عرض فيه و باختصار أهم الظواهر التي اتسم بها المصحف العثماني في ضوء ما أَلِفَهُ الصحابة من الهجاء و اعتادوا عليه من الرسم.

بعد ذلك يخوض مسألة علاقة الرسم العثماني بالقراءات القرآنية، نشوءاً، و اثرها في النص القرآني اضطراباً كما رأى ذلك المستشرقون ممن درسوا القرآن الكريم من أجل أن يلتمسوا فيه نقصاً أو عيباً حاشاه.

و يختم السيد الباحث بحثه بتقديم نماذج تطبيقية لبعض مواضع اختلاف القراءات بسبب احتمالات الرسم. بعدها خاتمة فيها أهم ما توصل اليه في بحثه.

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد:

اهتم العلماء كثيراً بمسألة رسم المصحف، وكان محط دراساتهم منذ القرن الإسلامي الثاني فقد افرده بالتصنيف جمع من المتقدمين والمتأخرين، وألف فيه العلماء كتباً كثيرة.

وقد كان لتاريخية الخط العربي أثر في تشكل رسم المصحف مما ألقى بظلاله على تنوع القراءات القرآنية، فإن جزءاً منها قد نشأ عن الرسم المصحفي، بوصفه محتملا للنطق بوجوه عدة، وكيف صار معيارا وضابطا في تحديد القراءة الصحيحة، وما ذلك إلا لتحكم الخط بالقراءة. بمعنى أن أية قراءة تخالفه تعدّ غير صحيحة، وليست كل قراءة موافقة له قراءة قرآنية. فاختلاف وجوه القراءات القرآنية لم ينشأ (من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم) كما يقول جولد تسيهر في مذاهبه، لأن الرسم لاحق للقراءات وليس سابقاً عليها حتى يكون السبب الرئيس في نشأتها.

ولأن المستشرقين قد تناولوا القرآن الكريم من عدة جوانب، لغوية وتاريخية وتفسيرية، فقد ارتأيت أن لا أخوض إلا بمقولاتهم التي تتعلق برسم المصحف العثماني، وكيف أسست هذه المقولات للقول باضطراب النص القرآني.

إن الغاية من دراسة رؤى المستشرقين وبيانها انما هو لأجل أن نتعرف حقيقة موقفهم من القرآن وأسباب هذا الموقف، ولكي نتبين ذلك لابد أن نكون مطلعين تماما على رؤية المستشرقين والنقاط الجوهرية التي يثيرونها.

وتأسيسا على هذه المواقف، يقدم هذا البحث عرضاً مجملاً للرؤية الاستشراقية التي تهدف الى رمي النص القرآني بالاضطراب والتناقض، بحسب تعدد وجوه القراءات.

بيد أنه لا اضطراب ولاتناقض في النص القرآني في سبيل القراءات، بل هو اختلاف تنوع وثراء لا اختلاف تعارض وتغاير، فالقرآن منزه عن ذلك، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٨٢].

## التمهيد:

## (في رسم المصحف العثماني)

الرسم لغة هو الأثر[١]، ورسم كل شيء أثره، والجمع رسوم. وقد استعير للدلالة على خط المصحف إشارة إلى معنى الأثر القديم[٢]. وكان استعمال معنى الرسم بهذا المعنى قد ظهر متأخراً على يد أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) في كتاب (المقنع). وتحدث ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) عن فن الرسم بقوله: ((ربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضا، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية))[٣]. وأطلق عليه القلقشندي (ت ٨٢١هـ) عدة أسماء[٤]، هي: (المصطلح الرسمي)، أو (الاصطلاح السلفي)، وهو الذي يقابل (المصطلح العرفي) المعتاد عند الناس في كتابة الكلمات. وهذه المصطلحات المترادفة، ظلت تستعمل للدلالة على الكتابة عامة، إلا مصطلح الرسم المصحفي، الذي كان يعني خط المصحف خاصة[٥].

ورسم المصحف كثيراً ما ينسب إلى الخليفة عثمان بن عفان فيقال الرسم العثماني، لأن جمع القرآن قد تم في عهده[*] فارتبط اسمه بتلك المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار وبطريقة الكتابة فيها. وبذلك فإن الرسم العثماني هو ما خطه الصحابة حين نسخوا المصاحف[٦]، وليس كما عرفه الزرقاني في كتابه بأنه ((الوضع الذي ارتضاه عثمان في كتابة كلمات القرآن وحروفه))[٧]. والذي يفهم منه أن هناك عدة رسوم، اختار منها عثمان هذا الرسم وترك ما سواه، عدا ما ذكر من ترجيحه لكتابة كلمة (التابوت) بالتاء، بدلاً من الهاء.

(١) ظ: لسان العرب، ابن منظور(رسم) ١٥/ ١٣٢.
(٢) ظ: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري حمد ١٥٦.
(٣) تاريخ ابن خلدون ١/ ٧٩١.
(٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٣/ ١٧٩.
(٥) رسم المصحف ١٥٧.
(*) الذي يراد من الجمع توحيد الامة على قراءة واحدة، وتدوين هذه القراءة ونسخها وارسالها إلى الأمصار.
(٦) رسم المصحف ١٥٧.
(٧) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٣٦٩.

وقد كان رسم المصحف مثار اهتمام العلماء، ومحط دراساتهم منذ القرن الإسلامي الثاني فقد افرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين[٨] والمتأخرين، وألف فيه العلماء كتباً كثيرة.

من هذه الكتب[٩] التي تناولت ذلك:

١. (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)، و(مقطوع القرآن وموصله)، لعبدالله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ).
٢. (هجاء المصاحف)، ليحيى بن الحارث الدماري (ت١٤٥هـ).
٣. (مقطوع القرآن وموصوله)، لحمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ).
٤. (اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة)، (الهجاء)، (مقطوع القرآن وموصوله)، لعلي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ).
٥. (اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف)، للفراء (ت٢٠٧هـ).
٦. (اختلاف المصاحف)، لخلف بن هشام (ت٢٢٩هـ).
٧. (هجاء المصاحف)، لمحمد بن عيسى الأصبهاني (٢٥٣هـ).
٨. (اختلاف المصاحف)، و (الهجاء)، لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ).
٩. (هجاء المصاحف)، لأحمد بن إبراهيم الوراق (ت٢٧٠هـ).
١٠. الهجاء، (الرد على من خالف مصحف عثمان)، لأبي محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٧هـ).
١١. اللطائف في جمع همز المصاحف، لأبي بكر محمد بن الحسن المشهور بابن العطار (ت٣٥٤هـ).
١٢. في الرسم، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أشته الأصبهاني (ت٣٦٠هـ).
١٣. هجاء مصاحف الأمصار، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت ٤٣٠هـ).
١٤. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ).

وهو من أشهر كتب الرسم على الأطلاق، بل إنه قد بلغ به الذروة، وقد نظمه الشاطبي (ت٥٩٠هـ) في منظومته

(٨) ظ: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/ ١٤٥. والنشر في القراءات العشر ٢/ ١٢٨.
(٩) ظ: الفهرست٣٦.

الرائية المسماة (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد). ونظمه أيضا الخراز (ت٧١٨هـ) في منظومته المسماة (مورد الظمآن). وقد قام العلماء بعدهما بشروح لهاتين القصيدتين.

والى جانب تلك الكتب الخاصة بالرسم، هناك فصول مبثوثة في كتب علوم القرآن، تتحدث عن الرسم.

لاشك أن الخط وضع ليعبر عن المعنى باللفظ نفسه الذي ينطق به، فالكتابة في الحقيقة قيد للفظ المعبر عن المقصود. وعليه فيجب أن تكون الكتابة مطابقة للفظ المنطوق به تماماً، ليكون الخط مقياسا للفظ من غير زيادة عليه أو نقصان.

بيد أن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق، ويظهر أن الإصلاحات التي ظهرت على الخط العربي فيما بعد ((لم تكن قد كملت بعد في العهد الذي رسم فيه المصحف العثماني، أو لم يكن استخدامها قد انتشر كل الانتشار، أو لم يكن الصحابة ممن رسموا المصحف على علم تام بها، أو أنهم قد تحرجوا من إدخالها في رسم القرآن. فجاءت المصاحف العثمانية مجردة من الإعجام والشكل؛ ورسمت فيها حروف كثيرة بصورة مضطربة خاطئة، كزيادة الياء في (بأييد)، والألف في (لااذبحنه)، و (لا اوضعو خلالكم)، والواو في (جزاءو الظالمين)؛ وحذفت منها الألف كثيراً من الكلمات (الرحمن، السموات، يُقَتلونكم، للكفرين، ميثقكم، بالظلمين، استطعوا، وهجروا، وجهدوا، ومنفع للناس، اليتمى، قنتين... ألخ)؛ ورسم فيها بعض التاءات المربوطة مفتوحة (نعمت الله.. ألخ)؛ واستبدلت فيها حروف بحروف أخرى ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾))[١٠].

والذي تؤكده النقوش الأثرية، أن الصحابة كتبوا المصاحف كما يكتب الناس في زمانهم، بالقواعد الإملائية التي يعرفونها. فلهذه المسألة جذور تاريخية ترجع إلى الكتابة السريانية التي انحدر منها الخط الكوفي، وقد كتبوا القرآن

(١٠) فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي ٢٤٩-٢٥٠.

الكريم بالخط الكوفي على النهج نفسه.

وهذا الرأي هو الذي ترجحه الأدلة الأثرية المكتوبة، التي اكتشفت قبل الإسلام وفي سنواته الأولى، إذ يلاحظ فيها إنقاص الألف، وخلوها من النقط والشكل، وبعض الظواهر الكتابية الأخرى.

ومن الظواهر التي جاءت مخالفة للقواعد الإملائية في الرسم العثماني، حذف الألف، مثل (خئفين، المؤتفكت، أبصر)، وحذف الياء (ارهبون، يؤت، الحوارين)، وحذف الواو (يدع، يستون)، وحذف اللام (اليل، الاتي) وحذف النون (نجي، تك)، وزيادة بعض الحروف، كزيادة الألف (لشائ، ابن، لااذبحنه، تايئسوا، ادعوا)، وزيادة الياء (تلقاءى، نبأى، بأييكم، بأييد)، وزيادة الواو (سأوريكم، لأوصلبنكم)، وظاهرة الإبدال، إبدال الياء ألفاً (الاقصا، طغا، رءا، نئا، يحيا، لدا، بشرا)، وإبدال الألف ياءً (طحيها، زكيها، اجتبيكم)، وإبدال الألف واواً (الصلوة، الزكوة، الحيوة، الربو، الغدوة)، وإبدال نون التوكيد الخفيف تنويناً (لنسفعا، ليكونا)، وإبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة (رحمت، نعمت، امرأت، لعنت، شجرت، سنت)، وإبدال السين صاداً (الصراط، يبصط)، وظاهرة كتابة الهمزة (الضعفؤا).

وقد يغلوا بعض المتزمتين بالرسم القديم، فيزعمونه توقيفاً كان بأمر النبيﷺ الخاص، ولم يكن للكتبة الأوائل دخل في رسمه بالهيأة الموجودة. وإن وراء هذه المخالفات الإملائية سراً خفياً وحكمة بالغة لا يعلمها إلا الله سبحانه.

وهو ما ادعاه ابن المبارك في نقله عن شيخه عبد العزيز الدباغ أنه قال: ((ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبيﷺ وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضا معجز))[11].

وقد رد الدكتور الصغير هذا الكلام

(١١) مناهل العرفان ١/ ٣٧٦.

وبين هزاله من عدة وجوه، منها: ((أن الرسم المصحفي لم يرد فيه ولا حديث واحد عن النبي ﷺ فكيف يكون توقيفيا.. الثاني: لو كان الرسم توقيفياً لكانت خطوط كتاب الوحي واحدة، وليس الأمر كذلك))[١٢].

ومن الذين ذهبوا إلى تفسير ظواهر الرسم تفسيرا صوفيا، وأن فيه حكماً خفية، وأسرارا بهية أبو العباس المراكشي(ت ٧٢١هـ)، إذ عبر عنها بقوله إن الرسوم ((إنما اختلف حالها في الخط، بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها))[١٣]. وكذلك ((التنبيه على العوالم الغائب والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات))[١٤].

وإن كان المراكشي قد عرض مذهبه في عبارة قوية وأسلوب جيد، فإنه لم يسلم من النقد، لأن قوة العبارة وجودة الأسلوب لا يمكنهما أن تنصرا مذهبا، إذا توافرت فيه عوامل الضعف.

وسبب ميل المراكشي إلى هذه الأسرار هو كما قال د. غانم قدوري حمد أنه ((كان ذا ميل شديد إلى العلوم الرياضية والعقلية، يتجلى ذلك في مؤلفاته الكثيرة في الفلسفة والمنطق والفلك والأصول، ثم أنه ذو اتجاه صوفي وجداني، دفعه إلى الانقطاع مدة عن أكل ما فيه روح، وأصيب بحالة عصبية فحجب عن بيته سنة وتعافى))[١٥].

وهذه الأسرار الخفية بعيدة كل البعد عن طبيعة الموضوع، فلم يدر في خلد الصحابة شيء من تلك المعاني الصوفية التي يحاول المراكشي أن يعلل بها رسم كلمات المصحف.

فكتابة المصحف إذن كانت في ضوء ما ألفه الصحابة من الهجاء واعتادوه من الرسم، وذلك قصارى جهدهم، وما ورد فيها من مخالفات إملائية ليس بالشيء الذي يمس سلامة القرآن. فالقرآن هو الذي يقرأ، لا الذي يكتب فلتكن الكتابة بأي أسلوب. فإنها لا تعني شيئاً ما دامت القراءة باقية على لغتها الأولى التي كانت

(١٢) دراسات قرآنية (تاريخ القرآن) ١٤٠-١٤١.
(١٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١/ ٣٨٠.
(١٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٤/ ١٤٥.
(١٥) رسم المصحف ٢٢٩.

تقرأ على عهد الرسول ﷺ وصحابته الأكرمين.

## علاقة الرسم العثماني بالقراءات القرآنية نشوءاً وأثرها في النص القرآني اضطرابا

قرر المستشرقون أن السبب في ظهور القسم الأكبر من القراءات هو خاصية الخط العربي، فالرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب مما يؤدي إلى اختلاف دلالتها، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة اختلاف القراءات وتعددها كما زعم كثير من المستشرقين.

يقول جولد تسيهر: ((وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة، فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط. بل كذلك في حالة تساوى المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده، الى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا الى اختلاف دلالتها، وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات، في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه))[١٦].

فالمستشرق جولد تسيهر، يرى أن سبب الإختلاف بين القراءات، يرجع الى خصوصية الخط العربي الذي لم يكن منقوطا ولا مشكولا. وقدم أمثلة[١٧] حاول الإستدلال بها على دعواه، وهي:

١- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٨]، (تستكبرون) بالباء الموحدة، وفي قراءة (تستكثرون) بالثاء المثلثة.

(١٦) مذاهب التفسير الإسلامي ٨ -٩.
(١٧) ظ: م. ن ٩ -١٢.

٢-﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ [سورة الاعراف: ٥٧]، (نشرا) بالنون بدل الباء.

٣-﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [سورة التوبة: ١١٤]، بالياء المثناة التحتية، وفي قراءة -من الغريب أنها قراءة حماد الراوية -(أباه) بالباء الموحدة.

٤-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ [سورة النساء: ٩٤]، فبدلا من (فتبينوا) قرأ جماعة من ثقات القراء (فتثبتوا) والهيكل المرسوم يحتمل الوجهين.

وذهب الى أن هذه الاختلافات وما شابهها لاتسبب فرقا من جهة المعنى العام ولا من جهة الاستعمال الفقهي.

٥-﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ٥٤]، أي فليقتل بعضكم بعضا، (أو بالمعنى الحرفي للنص: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم).

يدور الحديث حول غضب موسى حين علم بصنع بني إسرائيل عجلا من ذهب وعبادتهم إياه فقد وجد المفسرون الأمر بقتل أنفسهم، أو بقتل الآثمين منهم، أمرا شديد القسوة، وغير متناسب مع الخطيئة، فآثروا تحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة بنقطتين من أسفل، بدل التاء المثناة من أعلى، فقرؤا: (فأقيلوا) بمعنى: حققوا الرجوع عما فعلتم، أي بالندم على الخطيئة المقترفة.

وهذا المثال -بحسب جولد تسيهر- يدل فعلا على أن ملاحظات موضوعية قد شاركت في سبب اختلاف القراءة، خلافا للأمثلة السابقة التي نشأ الإختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع الى الرسم.

٦-﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [سورة الفتح: ٨ -٩]، فبدلا من: (وتعزروه) بالراء المهملة، الذي معناه: وتساعدوه، قرأ بعضهم:

(وتعززوه) بالزاي المعجمة بمعنى: وتعظموه. وداعي تغيير النص على هذا الوجه خشية تصور أن الله ينتظر من الناس مساعدة أو معونة. وقد كان مجرد إضافة نقطة واحدة كافية في إزالة ذلك الإيهام: فانتقل المعنى من تقديم المعونة لله الى تعظيم الله.

وهو في هذه الأمثلة قد خلط قراءات صحيحة بقراءات شاذة منكرة. ومن القراءات الصحيحة، الأمثلة: (٤، ٢). ومن القراءات الشاذة، الأمثلة: (٦، ٥، ٣، ١).

ثم يأتي آرثر جفري متابعاً جولد تسيهر في ادعائه أن اختلاف القراءات راجع إلى سببين رئيسين نتجا عن التزام رسم القرآن بالخط العربي فتأثرت القراءات بطبيعته من جهتين: الأولى: تجرد خط المصاحف العثمانية الأولى من النقط. والثانية: عدم ضبط هذا النص بالشكل.

يقول آرثر جفري في المقدمة التي كتبها لتحقيقه كتاب ((المصاحف)) لابن أبي داود: ((وكانت هذه المصاحف كلها- يعني مصاحف عثمان التي بعث بها إلى الأمصار -خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات. ومثال ذلك (يعلمه) كان يقرؤها الواحد (يُعَلِّمُه) والآخر (نُعَلِّمُه) أو (تُعْلِمُه) أو (بِعِلْمِه) إلخ على حسب تأويله للآية))[١٨].

ويوافقهما على هذا المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) فقال: ((حقا فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال، مجالا لبعض الاختلاف في القراءة، ولا سيما إذا كانت غير كاملة النقط، ولا مشتملة على رسوم الحركات، فاشتغل القراء على هذا الأساس بتصحيح القراءات واختلافها))[١٩].

ومع أن هذا الرأي قد لقي نقدا وتجريحا من قبل بعض الدارسين العرب[٢٠]. ألا

(١٨) مقدمة كتاب المصاحف ٧٠.

(١٩) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، القسم الأول ١/ ١٩٧.

(٢٠) ظ: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه. وعبد الوهاب حمودة، القراءات واللهجات. وعبد الفتاح شلبي، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها. وعبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن.

أنه لقي بالوقت نفسه تأييدا من قبل آخرين أمثال إبراهيم الابياري، ود. جواد علي، و د. صلاح الدين المنجد[٢١].

ونستطيع أن نقول لو كانت القراءة تابعة للرسم كما يقول (جولد تسيهر) لصحت كل قراءة يحتملها رسم المصحف، لكن الأمر على غير ذلك، فإن بعض ما يحتمله الرسم صحيح مثل (فتبينوا)، وبعضه من الشواذ مثل قراءة (أباه)، وقراءة (تستكثرون).

فالأصل أن الرسم تابع للرواية والنقل، وأن الرواية منقولة من أفواه الرجال الحفظة، لا كما يصوره المستشرقون، فإذا احتمل الرسم قراءة غير مروية ولا ثابتة. ولا مسندة إسنادا صحيحا ردت ووصمت أنها من الشواذ، وما وافق الرسم من القراءات الصحيحة تعبد به وكان تنزيلا من لدنه تعالى.

وقد يحتمل الرسم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ ما نسبت الى حمزة الزيات من أعدائه "ذلك الكتاب لا زيت فيه"![٢٢]. ويحتمل الرسم في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ «ولله ميزاب السموات والأرض». لكن شيئا من ذلك لم ينقل في صحيح الرواية ولم يرد فيما ثبت عن الرسول ﷺ فهو إذن من التحريف والتصحيف.

ونستطيع أن نلخص مضامين تلكم الردود والانتقادات بما يأتي:

١. اعتماد القراءات على النقل والرواية.
٢. ظهور حركة القراءة قبل وجود النقط والشكل.
٣. إن شيوع ظاهرة القراءات القرآنية كان قبل تدوين المصاحف.

وقد رد د. محمد حسين الصغير دعوى من لا يرى للخط المصحفي أي أثر في تعدد القراءات واختلافها، وقال: ((إذ لو كان الأمر كذلك لما كانت موافقة خط المصحف أساسا لقراءات عدة، وميزانا للرضا والقبول والاعتبار، وما ذلك إلا لتحكم الخط بالقراءة، ولا نريد أن نتطرف

(٢١) ظ: الموسوعة القرآنية الميسرة، لهجة القرآن الكريم، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٥، ودراسات في تاريخ الخط العربي.

(٢٢) ظ: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، العسكري ١٢.

فنحكم أن الخط المصحفي هو السبب الأول والأخير في تفرع القراءات القرآنية، ولكن نرى أن جزءاً كبيرا من اختلاف القراءات قد نشأ عن الخط المصحفي القديم، باعتباره محتملا للنطق بوجوه متعددة))[٢٣].

وقد يكون الحديث عن رسم المصحف العثماني وأثره في القراءات القرآنية نشوءاً مقدمة للطعن والغمز في سلامة القرآن الكريم، وهو ما يراه المستشرقون من أن تعدد القراءات القرآنية للنص القرآني هو اضطراب لحقه بسببها، وهذا ما ذهب إليه (جولد تسيهر)؛ قائلا: ((فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآن))[٢٤].

والحق أن هذه الاختلافات ليست متناقضة بمعنى أن يُلْجَأَ إلى هدر أحد الوجهين إذا اعتمد الآخر؛ بل هي ذات معان متضامنة يكمل بعضها بعضاً، وقد يدل الوجه على ما لا يدل عليه أخوه ولكنه لا ينافره ولا يضاده، بل يمنحك معنى جديداً يضيء لك سبيل التفسير أو الحكم. وعلى هذا يقول الزرقاني: ((بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعلم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف))[٢٥].

فحمل القراءات بعضها على بعض نقصد به إتساع المعاني للقرآن الكريم وهو ما يعبر عنه بـ (ثراء المعنى) ونقصد به كثرة المعاني لتنوع القراءات، أي أن القراءات تكون صالحة لأن تدل في تنوعها على معان متعددة على سبيل البدل أو الإشتراك.

والسؤال الوارد هنا حول إتساع معاني القراءات القرآنية على اختلافها وتنوعها هل قصد القرآن الكريم إلى تعدد المعاني هذه؟. وهو سؤال كما نرى يتعلق بوظيفة النص القرآني وغايته، وإذا كان من المتفق

(٢٣) دراسات قرآنية (تاريخ القرآن) ١٠٢.
(٢٤) مذاهب التفسير الإسلامي ٤.
(٢٥) مناهل العرفان ١/ ١٠٥.

عليه أن النص القرآني هو نص مقدس موحى من قبل الله تعالى (نص الهي)، وأنه خاتم الكتب السماوية (نص خالد)، وأنه عالمي الخطاب (نص عصري) لذا كان من ضروريات النص القرآني أن يتسع لأكثر من معنى ليحاكي كل ظروف الحياة ومتطلباتها ومستجداتها، مما تَكَشَّفَ أنه من غير الممكن أن ندعي صواب معنىً واحد من تفسيرات النص يكون ما عداه من المعاني خطأ.

ولا يعني هذا أن جميع دلالات القراءات صحيح ومقبول، بل هناك الصحيح والضعيف والمردود، إنما المقصد هنا أن النص القرآني من خلال القراءات يعطي مساحة للفهم ودائرة واسعة للاجتهاد والنظر والتأمل.

فالمتأمل في القراءات يكون بصدد جملة أهداف متآزرة تكشف عنها إمكانيات النص الهائلة حيث يكون النص القرآني مُوَجَّهًا -بفضل إمكانيته المودعة فيه- لتحقيق أغراض متعددة، قد لا تخالف أي منها نصاً، أو عقلاً، أو واقعاً. ولا يفضي إلى تحريم حلال، أو تحليل حرام. بل قد تكون جميع وجوهه مقبولة ومرادة وذات فائدة مترتبة على توجيه هذه القراءات خاصة.

وهذا يرجع إلى ثرائه وتجدد معينه الذي لا ينضب، سواء أكان هذا التنوع على صعيد اللفظ الواحد (القرآن) على سبيل التفسير، أم على صعيد تعدد اللفظ (القراءات) على سبيل التوجيه. وإنما الاختلاف إن وجد فهو من فهمنا لتوجيه القراءة.

واعتبار النص القرآني كُلاًّ لا يتجزأ لأنه يهدف إلى غاية واحدة وإن تنوعت مظاهر تعبيره تبعاً لتنوع القراءات، لذا يوجب التسليم بأن القراءات الواردة في الآية وإن تنوعت فإن لها ثابتا بنيويا تنطلق منه فهي تُطْلِق أو تقيد، و تُجْمِل أو تفصل، و تُبَيِّن أو تخصص المعنى في النص القرآني، ولكنه مهما كان الحال فإنها لا تناقضه ولا تضاده.

فإن من إعجاز القراءات أنها تتكامل مع النص ولا تتنافر معه، فكل قراءة تضيف إلى النص القرآني معنى من المعاني ولا تلغيه؛ قال الشيخ الزرقاني: ((ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة،

والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله؛ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل))[٢٦]. وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[سورة النساء: ٨٢]، ويدل عليه إقرار النبي ﷺ للمختلفين في القراءة بقوله: أصبتم، أو كلاكما محسن، أو أي ذلك قرأتم أصبتم، وكذلك إقرار الأئمة المعصومين: (اقرؤوا كما علمتم)، (اقرؤوا كما تقرأ الناس).

من خلال ما تقدم يتبين بشكل جلي أن الاختلاف في القراءات لا يعني التعارض والتباين في النص القرآني، فالقراءات على اختلافها وتنوعها لم يتطرق إليها تضاد وتناقض، أو تدافع بين معاني الآية.

وهذه ثلاثة نماذج تطبيقية لما اختلفت قراءته بسبب تجرد المصحف من النقط، وفقدان الشكل، وغياب الحركة النحوية، للتدليل على صحة ما ذهبنا إليه:

(٢٦) مناهل العرفان ١/ ١٠٥.

نماذج تطبيقية:

١. (تبينوا -تثبتوا):

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [سورة الحجرات: ٦].

أ. أوجه القراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف: (فتثبتوا) بالتاء والباء. وقرأ الباقون: (فتبينوا) بالباء والياء[٢٧].

ب. حجة القراءة:

حجة من قرأ (فتثبتوا) من (تثبت)، أي: فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر، وحجة من قرأ (فتبينوا) من (تبين)، أي: فافحصوا واكشفوا، وحجتهم قول رسول الله ﷺ ألا أن التبين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا[٢٨]. ويرى الفراء أنهما ((متقاربان في المعنى. تقول للرجل: لا تعجل بإقامة حتى تتبين وتتثبت))[٢٩].

(٢٧) ظ: كتاب السبعة في القراءات ٢٣٦، والنشر في القراءات العشر ٢/ ١٨٩.

(٢٨) ظ: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٤٣٣.

(٢٩) معاني القرآن ١/ ١٩٦.

ج. دلالة القراءة:

اشتملت هذه الآية المباركة على قراءة مختلفة في حروفها متنوعة في معطياتها.

فقد أفادت قراءة (فتثبتوا) معنى التثبيت، فهي من الثبت. والثبت: هو التأني، والتوقف، حتى تتضح صحة الخبر[٣٠]. والمعنى: فاطلبوا ثبات الأمر، ولا تعجلوا فيه. إذ دعت المؤمنين إلى التأني وترك الإقدام على القتل، دون التثبت، فجاء التثبيت مخالفا للإقدام، والتثبيت أفسح للمأمور من التبين، لان كل من أراد ان يتثبت قدر على ذلك، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك، لأنه قد يتبين، وقد لا يتبين له ما أراد بيانه. فدلت على زيادة في المعنى المراد من جهة المخاطَب.

على حين أفادت قراءة (فتبينوا) معنى التبين، وهو التعرف والتفحص والكشف، عن هوية الأمر[٣١]. ولما كان معنى الآية ((افحصوا عن أمر من لقيتموه واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله، حتى يتبين لكم حقيقة ما هو عليه من الدين))[٣٢] حُمِلَ المخاطَب على التبيين فبه يظهر الأمر، فناسبت حيثية الحدث، وما تهدف إليه الآية.

ففي التبين معنى التثبت، وليس كل من تثبت في أمر تبينه، فقد يتثبت ولا يتبين له الأمر، فالتبين أعم من التثبت في المعنى لاشتماله على التثبيت.

ومدلول الآية مطلق، فـ((في تنكير الفاسق والنبأ: شياع في الفساق والأنباء، كأنه قال: أيّ فاسق جاءكم بأيّ نبأ))[٣٣].

فتنكير فاسق ونبأ يفيد الاطلاق لأنه نكرة في سياق الاثبات.

وبالنظر إلى قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ ((يفيد أن المأمور به هو رفع الجهالة وحصول العلم بمضمون الخبر عندما يراد العمل به وترتيب الأثر عليه))[٣٤]. وعلى هذا فإن قراءة التبين التي تفيد العلم وإنكشاف الحقيقة هي الأرجح لمضمون الآية المباركة التي تقتضي

(٣٠) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٣٤٤، وفتح القدير ٥/ ٧٤، وروح المعاني ١٣/ ٢٩٨.
(٣١) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٣٤٤، وفتح القدير ٥/ ٧٤، وروح المعاني ١٣/ ٢٩٨.
(٣٢) الكشف ٢/ ٤٣٣.
(٣٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ٤/ ٣٥٠.
(٣٤) الميزان في تفسير القرآن ١٨/ ٣١٦.

الوصول إلى الحقيقة.

ولان الفاسق نادرا ما يأتي بخبر صائب، صُدِّر بحرف الشرط (إن) المقتضي للشك لا بالحرف (إذا) المقتضي للحقيقة. مما يتطلب التحقق من خبره وبلوغ اليقين فيه، فلا يكفي مجرد التثبت.

وأيضا ورود الصيغة التعبيرية في خاتمة الآية ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ التي نظرت إلى مآل عدم التبين من الخبر، وهو الخسران وإصابة القوم بجهالة، مما تَطَلَّب الدقة والفحص عن النبأ، لان عدم التحقق من صحة الخبر سيفضي إلى الندم، وهو مذموم عند المؤمنين.

٢. (قَرن -قِرن):

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

ب. أوجه القراءة:

قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم: (وقَرن)، بفتح القاف. وقرأ الباقون: (وقِرن)، بكسر القاف[٣٥].

ج. حجة القراءة:

قال الخليل: ((القرار: المستقر من الأرض. وأقررته في مقره ليقر، وفلان قار، أي: ساكن))[٣٦] و((الوقار: السكينة والموادعة، ورجل وقور ووَقَّار ومتوقر: ذو حلم ورزانة))[٣٧].

فحجة من قرأ (قَرن) بفتح القاف، فهو من: قَرَرْتُ بالمكان أَقَرُّ، و(قَرْن) كان في الأصل (اقْرَرْنَ) فحذفت الراء الأولى وألقيت حركتها على القاف، فقيل (قَرْنَ) ووزنها: (فَلْنَ).

وحجة من قرأ (قِرن) بكسر القاف، ففيه وجهان، أحدهما: أنه من الوقار، يقال: وَقَرَ يَقِر، والامر: قِرْ، وللنساء: قِرْنَ، ووزنها(عِلْنَ). والوجه الثاني: أنها من: قررت بالمكان أقر، وأصلها (إقْرِرْنَ) فحذفت الراء الأولى وألقيت حركتها على القاف، فقيل (قِرْنَ) ووزنها: (فِلْنَ)[٣٨].

(٣٥) ظ: الحجة، ابن خاويه ١٨٥، وكتاب السبعة ٥٢١ -٥٢٢، والنشر ٢/ ٢٦١.
(٣٦) كتاب العين، (قر) ٥/ ٢١.
(٣٧) م. ن، (وقر): ٥/ ٢٠٧.
(٣٨) ظ: معاني القران، الفراء ٢/ ٣٤٢،

فالكسر من وجهين من الوقار، أو من القرار. والفتح من القرار فقط.

د. دلالة القراءة:

على قراءة الفتح (قَرن) يكون معنى الآية: الأمر لهن بالاستقرار والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن إلا لضرورة.

أما قراءة الكسر (قِرن) فيحتمل أن تكون بمعنى (الاستقرار في البيوت) أوعلى معنى: كن أهل وقار، أي: هدوء وسكينة[٣٩].

وكلا المعنيين يتقبلها سياق النص القرآني فلا تعارض ولا تضاد بين القراءتين، فكلاهما مراد من نساء النبي، الاستقرار في البيوت، والوقار. إلا أن معنى الاستقرار أرجح من الوقار، بدليل قوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ فان قلنا إن المعنى أن يكن وقورات فلا داعي لتخصيص الوقار في البيوت، لان الوقار مما يطلب في داخل البيوت وخارجها. فيتعين معنى الاستقرار في البيوت، لأنه مما تطلبه دقة النص وسلامته. ولا يخفى أن الأمر بالاستقرار في البيوت على نساء النبي ﷺ[٤٠] هو سار على نساء الأمة وهو مقيد بما دون الحاجة.

٣. (يكفرُ -يكفرْ):

قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

ب. أوجه القراءة:

قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وحمزة والكسائي وخلف بجزم الراء (ويكفرْ). وقرأ الباقون: برفع الراء (ويكفرُ)[٤١].

ج. حجة القراءة:

حجة من قرأ بالجزم (ويكفرْ) أنه عطف على موضع الفاء في قوله: (فهو خير

وكتاب المعاني القراءات ٣٨٦، والحجة، الفارسي ٣/ ٢٨٤، وحجة القراءات ٥٧٧، والكشف ٢/ ٣٠٢.

(٣٩) ظ: جامع البيان ٢/ ٣، والتبيان، الطوسي ٨/ ٣٣٧، ومفاتيح الغيب ٢٥/ ٢١٠.

(٤٠) كانت السيدة عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها. قال ابن عطية: ((وبكاء عائشة إنما كان بسبب سفرها أيام الجمل وحينئذ قال لها عمار: إن الله أمرك أن تقري في بيتك)). المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣، وظ: الكشف والبيان، الثعلبي ٥/ ١٠٦.

(٤١) ظ: كتاب السبعة ١٩١، والنشر ٢/ ١٧٨.

لكم) لأنه جواب الشرط[٤٢]، وجواب الشرط على ضربين، إذ ((لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء... وأما الجواب بالفاء فقولك: إن تأتني فأنا صاحبك، ولا يكون الجواب في هذا الموضع بالواو ولا بثم))[٤٣]. فلا يصح استعمال غير الفاء في هذا الموضع، ومحلها الجزم، وجوز النحاة العطف على هذا الموضع، أعني: موضع الفاء وهو الجزم، فيجزم ما عطف عليها بمراعاة الموضع والمحل الإعرابي.

وحجة من قرأ بالرفع (ويكفرُ) أنها على الاستئناف، وفيها إخبار عن الله (سبحانه وتعالى) بمعنى: أنه يكفر من السيئات[٤٤]. قال سيبويه: ((والرفع ههنا الوجه وهو الجيد لأن الكلام الذي بعد الفاء جرى مجراه في غير الجزاء))[٤٥].

د. دلالة القراءة:

الحقيقة التي لا يمكن أن تنكر: أن هذا القرآن له سلطان على الفطرة الإنسانية وسره الخاص في التأثير فيها لدى تلاوته أو حتى بمجرد سماعه، ما من تالٍ للقرآن إلا وهو يشعر أن شيئا ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، فهو ((سر مودع في كل نص قرآني يشعر به من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء ثم تأتي وراء الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله))[٤٦].

وإذا أنعمنا النظر في هذا النص القرآني، نجده يستجيش النفوس على الإنفاق العلني والسري، وهو (الإبداء، والإخفاء) فعبر عن الأولى (فنعما هي) وعن الثانية (فهو خير لكم).

ولا شك أن لكل من الإنفاق العلني والسري آثارا نافعة، فإظهار الصدقات عمل جيد، لما فيه من الأسوة الحسنة، وقد يقتدى بالمتصدق كثير من الناس، فهو

(٤٢) ظ: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٢٠، والمشكل ١/ ١٨٠، والكشف ١/ ٣٦٣، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ١٨٠، إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش ١/ ٣٦٣.

(٤٣) كتاب سيبويه ٣/ ٦٣.

(٤٤) ظ: إعراب القرآن، النحاس ١/ ٢٩٢، والحجة، ابن خالويه ٤٧، وكتاب معاني القراءات ٨٩، والمشكل ١/ ١٨٠، والكشف ١/ ٣١٤.

(٤٥) كتاب سيبويه ١/ ٤٤٨.

(٤٦) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٣٦٩.

عمل تشجيعي يحض الناس على الإنفاق، ويدفع عن المنفق تهمة التقصير أو الإهمال.

وإخفاء الصدقات أيضا عمل جيد لما فيه من البعد عن شبهة الرياء، أو حب الظهور، وفيه خلوص في النية وهو أستر للمحتاجين حفظا لماء وجوههم. ((ففي الحالات التي يكون فيها الجانب التشجيعي أكثر ولا يصادر فيها الإخلاص فالإظهار أولى، وفي الحالات التي يكون فيها المحتاجون من ذوي العزة والكرامة فإن حفظ ماء وجوههم يقتضي إخفاء الإنفاق، كما أنه إذا خشي الرياء وعدم الإخلاص فالإخفاء أولى))[٤٧].

وما نلاحظه في القراءتين القرآنيتين في قوله تعالى (ويكفر) أنهما تعاضدتا في تكفير بعض السيئات عن (المتصدق).

بيد أنَّ قراءة الجزم اختصت بالمنفق المُخفي، على حين ذهبت قراءة الرفع إلى أكثر من ذلك فهي لم تبخس المنفق المُعلن حقه وأعلنت عن تكفير بعض الذنوب عنه أيضا.

فأفادت قراءة الجزم أن الله تعالى يكفر من سيئات من أخفى الصدقات فحسب، ولا يشمل من أبداها، على حين أفادت قراءة الرفع أن الله تعالى يكفر من سيئات من أبدى الصدقات ومن أخفاها.

فإن جزم الفعل (يكفر) يدل على دخوله في جواب الشرط، لأن الواو فيه عاطفة تفيد التشريك، فهو جزء من جزاء إخفاء الصدقات، وبهذا فهو لا يشمل من أبدى الصدقات بل هو خاص بمن أخفاها، على خلاف قراءة الرفع التي دلت على أن تكفير بعض السيئات جزاء لمن أبدى الصدقات ولمن أخفاها.

وقد رجح الطبري قراءة الجزم ((على معنى الخبر من الله عن نفسه، أنه يجازي المخفي صدقته من التطوع، ابتغاء وجهه من صدقته، بتكفير سيئاته))[٤٨]. وعلى هذا فإن قراءة الجزم أعطت للمُخفي جزاءين: أولهما كونه خيرا له، وثانيها: يكفر عنه بعض السيئات، إذ أفادت (من) هنا التبعيض لإمكان سد (بعض) مسدها[٤٩].

(٤٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٢١٩.

(٤٨) جامع البيان ١/ ٩٣.

(٤٩) ظ: مغني اللبيب ١/ ٤٢٠، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي ٣٠٩.

ويُفَاد من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أن الله عالم بما ينفقون، فهو خبير عَليم بأمرهم. وهذا التعبير في خاتمة الآية يحث على إخلاص النية في الإنفاق. فإن الإخلاص شرط أساس في إعطاء الصدقات سواء كانت علانية أم سرا.

## الخاتمة

١- بين البحث أن سبب مخالفة الرسم العثماني للكثير من القواعد الإملائية، أن الصحابة كتبوا المصاحف كما يكتب الناس في زمانهم، بالقواعد الإملائية التي يعرفونها.

٢- ذهب البحث إلى عدم توقيفية الرسم العثماني، أو أنه يحوي أسرارا خفية ومعاني صوفية مما حاول المراكشي أن يعلل بها رسم كلمات المصحف. بل غاية الأمر أن لرسم المصحف جذوراً تاريخية، ترجع إلى بداية نشوء الخط الكوفي. فكتابة المصحف دونت في ضوء ما ألفه الصحابة من الهجاء، واعتادوه من الرسم، وذلك قصارى جهدهم.

٣- بين البحث أن ما ورد في المصحف من مخالفات إملائية ليس بالشيء الذي يمس سلامة القرآن، فالقرآن الذي يقرأ، لا الذي يكتب، فلتكن الكتابة بأي أسلوب.

٤- نفى البحث أن يكون السبب الرئيس في نشأة القراءات القرآنية رسم المصحف وفقا لرؤية المستشرقين. لأن الرسم لاحق للقراءات وليس سابقاً عليها حتى يكون السبب الرئيس في نشأتها.

٥- نفى البحث ما ذهب إليه المستشرقون من اختلاط واضطراب مزعومين في النص القرآني، بحسب تعدد القراءات. فالقرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد من علو الأسلوب والتعبير.

٦- اثبت البحث بما لا يدع مجالا للشك تعاضد القراءات وعدم تنافرها أو تضادها من خلال ثلاثة نماذج قرائية ساهم فيها الاختلاف والتنوع بسبب تجرد المصحف من النقط، وفقدان الشكل، وغياب الحركة النحوية على الثراء والاتساع.

## أهم المصادر والمراجع


القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي –القاهرة ١٣٧٠ هـ –١٩٥١م.
- إعراب القرآن: أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني– بغداد ١٣٩٧هـ –١٩٧٧م.
- إعراب القران الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، ط١، سليمان زاده– قم، ١٤٢٥هـ.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٧هـ –١٩٥٧م.
- تاريخ القرآن: د. عبد الصبور شاهين، دار القلم –الكويت ١٩٦٦م.
- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
- التبيان في تفسير القرآن: ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، قدم له الشيخ أغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية –النجف الاشرف ١٩٥٧م.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ(التفسير الكبير ومفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، ط٣، دار الفكر –بيروت ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، ط٢، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٣هـ –١٩٥٤م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) (تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر –جامعة الموصل ١٩٧٥م.

- الحجة في القراءات السبع: أبو هبة الله الحسين بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت ٣٠٢ هـ) تحقيق سعيد الأفغاني، ط٤، مؤسسة الرسالة-بيروت ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر أبن مجاهد: أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٤٢١هـ-٢٠٠١م
- دراسات قرآنية (تاريخ القرآن): محمد حسين علي الصغير، ط٢، مكتب الإعلام الإسلامي هـ ق ١٤١٣.
- رسم المصحف -دراسة لغوية تاريخية: غانم قدوري الحمد، ط١، مؤسسة المطبوعات العربية -بيروت ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، جدة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: أبو أحمد العسكري، ت عبد العزيز أحمد، مكتبة البابي الحلبي ط١، مصر١٩٦٣م.
- فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، أطراه مجمع اللغة العربية، ط٦، دار النهضة مصر -القاهرة، للطبع والنشر.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٥، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٨٦هـ= ١٩٦٧م.
- كتاب أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، (ت٤٦٨هـ)، ط١، دار ابن الهيثم- القاهرة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- كتاب السبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسى، المعروف بابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق د. شوقي ضيف،

ط٢، دار المعارف -مصر ١٤٠٠هـ-١٩٨٠ م.

- كتاب المصاحف: ابن أبي داود، نشر أرثر جفري ١٩٣٧م.
- كتاب معاني القراءات: أبو منصور محمد بن احمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق احمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن ابي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) تحقيق الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
- لهجة القرآن الكريم: جواد علي، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٩٠، ١٩٥٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي (القرن السادس الهجري) تصحيح وتحقيق وتعليق هاشم الرسولي المحلاتي-دار احياء التراث العربي -بيروت- ١٣٣٩هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م.
- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد تسيهر، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٢، دار إقرأ، بيروت ١٩٨٣م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق احمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث -القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.